

فأما الأدبان: الصغير والكبير فموضوعها التهذيب والتأديب. جمع فيهما الكثير من الحكم الماثورة التي وعها قلبه عن فلاسفة الفرس وحكماء العرب، أو أدركها بثاقب نظره أو صادق تجربته. . . والفرق بينها كالفرق بين العام والخاص. . . ، فبينما تجد الأول دستوراً خلقياً يصلح لكل فرد، في أي زمان أو مكان، تجد الثاني خاصاً بآداب الملوك وأخلاقهم وكذا من يتصل بهم، مع التحليل والتعليل، وبينما تجد الأول أيضاً مبعثر الأقوال كعقد وهي سلكه فانثر، تجد الثاني إلى التبويب، وإحكام الربط أقرب؛ بداهة بأعوان الحاكم وما يجب أن يكونوا عليه من الحرص والحذر في معاملته كقوله:

«إذا تقلدت شيئاً من أمر السلطان فكن فيه أحد رجلين: إما رجلاً مغتبطاً به، فحافظ عليه مخافة أن يزول عنه، وإما رجلاً كارهاً له، فالكاره عامل في سخرة، إما للملوك إن كانوا هم سلطوه، وإما لله تعالى وليس فوقه غيره. وقد علمت أنه من فرط في سخرة الملوك أهلكوه، فلا تجعل للهلاك على نفسك سلطاناً ولا سبيلاً» .

إياك، إذا كنت والياً أن يكون من شأنك حب المدح والتزكية، وأن يعرف الناس ذلك منك، فتكون ثلثة من الثلم، يقتحمون عليك منها، وباباً يفتحونك منه، وغيبة يغتابونك بها، ويضحكون منك لها.

اعلم أن قابل المدح كمدح نفسه، والمرء جدير أن يكون حبه المدح هو الذي يحمله على رده، فإن الراد له محمود؛ والقابل له معيب.

لتكن حاجتك في الولاية إلى ثلاث خصال: رضى ربك، ورضى سلطان من كان فوقك، ورضى صالح من تلى عليه، ولا عليك أن تلهى عن المال والذكر، فسيأتيك منها ما يكفي ويطيب. . .

اعرف أهل الدين والمروءة في كل كورة وقرية وقبيلة، فيكونوا هم إخوانك وأعوانك وبطانتك وثقاتك^(١).

(١) رسائل البلغاء، ٤٤، ٤٥